الملك العادل والأسئلة الخمسة

١- لماذا خلقنا الإله؟ أحقا كما يقولون من أجل عبادته؟ وهل الإله يحتاج إلى عبادتنا؟ فإن كان لا! فَلِمَ خَلقنا؟ ألم يكن من الأولى ألا نُخلق فلا يكون هناك سيئات ولا سفك دماء ولا معاصي وبالتالي لا يُعذب أحد ولا يعاني الناس؟

٢- لماذا أُحاسَبُ على دين وجدت نفسي عليه؟ ما هو ذنبي إذا وُلِدت فَوجَدت نفسي مسلما أو مسيحيا أو غير ذلك؟ أليس معظم الناس الذين يولدون على دين معين يموتون على نفس هذا الدين؟

٣- لماذا لا يجمع الإله جميع الناس ثم يخبرهم بنفسه أنه هو الإله دون الحاجة إلى إرسال أي رسول فتنتهي كل المشاكل والصراعات ويؤمن الناس جميعا؟

٤- لماذا يجب عليّ أن أؤمن بأي شخص يَدَّعي أنه رسول من عند الله لأنه أتى بالمعجزات؟ إذاً فلم لا أتبع الساحر الذي يأتي بالمعجزات أيضا؟!!

٥- لماذا لا أعتنق الإسلام؟ لماذا لا أعتنق المسيحية؟ لماذا لا أعتنق أي دين آخر؟

تأليف

محمود بن مصطفى بن عبد الصبور القفاص

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الملك العادل والأسئلة الخمسة

١- لماذا خلقنا الإله؟ أحقا كما يقولون من أجل عبادته؟ وهل الإله يحتاج إلى عبادتنا؟ فإن كان لا! فَلِمَ خَلقنا؟ ألم يكن من الأولى ألا نُخلق فلا يكون هناك سيئات ولا سفك دماء ولا معاصي وبالتالي لا يُعَذب أحد ولا يعاني الناس؟

٢- لماذا أُحاسَبُ على دين وَجَدت نفسي عليه؟ ما هو ذنبي إذا وُلِدت فَوجَدت نفسي مسلما أو مسيحيا أو غير ذلك؟ أليس معظم الناس الذين يولدون على دين معين يموتون على نفس هذا الدين؟

٣- لماذا لا يجمع الإله جميع الناس ثم يخبرهم بنفسه أنه هو الإله دون الحاجة إلى إرسال أي رسول فتنتهي كل المشاكل والصراعات ويؤمن الناس جميعا؟

٤- لماذا يجب عليّ أن أؤمن بأي شخص يَدَّعي أنه رسول من عند الله لأنه أتى بالمعجزات؟ إذاً فلم لا أتبع الساحر الذي يأتي بالمعجزات أيضا؟!!

٥- لماذا لا أعتنق الإسلام؟ لماذا لا أعتنق المسيحية؟ لماذا لا أعتنق أي دين آخر؟

يُروى أنّ ملكا عظيما هو أعظم ملك في الوجود كان قد أنشأ عوالم عظيمة ليس لها نظير، وكان هذا الملك العظيم يحكم جميع العوالم بحكمته وقدرته وقوته العظيمة، وكانت قوة هذا الملك وقدرته تفوق كل الوصف، فقوته ليس لها مثيل وقدرته ليس لها نظير، فهو الملك العظيم الذي لا ند له ولا شريك، وكان علمه قد أحاط بكل شيء، حتى المستقبل كان يعلمه بقدرته العظيمة وعلمه الواسع، وكان يخلق من العدم ما يشاء بقوته الكبيرة وقدرته العظيمة، فكان هذا الملك العظيم بلا منازع أو شريك كيف لا وقد خضع له كل شيء لعظمته وقدرته وجبروته. وكان هذا الملك عادلا يفوق عدله كل الوصف، فكان ميزان عدله بالذرة، ومع عدله الفائق وقوته العظيمة وقدرته الجبارة كان رؤوفا رحيما ودودا لطيفا عفوا غفورا ذو صفات حميدة لا يضاهيه في حسنها أحد، وكان يُقَدِّرُ الأقدار في جميع العوالم وَيُقَسِّمُ الأرزاق على أحسن تقدير، وكان كريما جوادا محسنا ذو فضل كبير، وكان يأمر بكل شيء حسن وينهى عن كل شيء قبيح، فكانت العوالم على أحسن وجه وأكمل وجه، فالكل يحبونه ويهابونه وكيف لا وهو أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين ورب العالمين وأعظم من في الوجود، لذلك كانوا يهرعون إليه وقت حاجاتهم ويقصدونه في كل غاياتهم فكان ملكا عظيما حكيما عادلا يأبى الظلم ولو بمثقال ذرة ينتصر للمظلوم ولو بعد حين، وكان يُعرَف بالملك العادل فعدله فاق كل وصف، ومن أجل العدل بدأت الحكاية:

كان الملك عادلا لدرجة أن عدله شمل كل شيء في الوجود، بل وكل شيء يمكن أن يُوجَد في الوجود، بمشيئته وعلمه وقدرته العظيمة، فكان يأبى الظلم حتى في العدم، فبعلمه للمستقبل وقدرته العظيمة علم أنَّ هناك أجناسا وأمما في العدم يختلفون في معدنهم من حيث الصلاح والفساد، فهناك أجناس كلهم

صالحون مؤمنون وهناك أجناس منهم الصالح المؤمن ومنهم المسيء الكافر، فكانت مشيئة الملك العادل بأن يقضي بينهم جميعا بعدله وحكمته العظيمة حتى لا يُظلم أحد.

فأما الأجناس الصالحة المؤمنة التي لا تخطئ أبداً أمثال جنس النور، فقد علم الملك العادل بقدرته العظيمة وعلمه الواسع أنهم صالحون مؤمنون لا يخطئون أبدا ولا يعصونه أبدا، فقضى الملك العادل فيهم بعدله وجعلهم ملائكة مقربين إليه وجعلهم حوله وشرفهم بمنزلة عظيمة فكانوا أُمَنَاءَ وحيه وحَمَلَةً لعرشه ورسلاً لِخَلْقِه وحُرَّاساً وخزنة على مُلكه.

وأما الأجناس التي فيهم صالحون مؤمنون وسيئون كافرون أمثال جنس النار وجنس التراب، فقد علم الملك العادل بقدرته العظيمة وعلمه الواسع أنّ أكثرهم سيئون، لا يقبلونه ملكا عليهم وينكرون ملكه ويكفرون به حتى وإن أحسن إليهم وأعطاهم فهم يسيئون إليه ويسبونه ولا يعترفون به ويلفظونه بل وجد فيهم من يتحداه ويتجرأ عليه، ثم اطلع على أعمالهم فوجدهم يأكلون الربا ويزنون ويشربون الخمر ويعادون الصالحين المؤمنين ويبغضونهم ويقتلونهم ويفسدون في الأرض، فغضب الملك عليهم ومقتهم لأنهم سيئون لا يستحقون العيش في نعيمه بل يستحقون العقاب الشديد. وفي المقابل نظر الملك إلى أولئك الصالحين المؤمنين، فوجدهم مساكين مستضعفين متضرعين يهابونه ويحبونه ويطيعونه ويرجون رضاه ويخافون عذابه. فأبى الملك أن يَظلِم الصالحين ويساويهم بالسيئين بتركهم في العدم، فكان الظلم سيقع عليهم لو لم يُخلَقوا، لأن الصالح المؤمن لا تعطى له الفرصة لِيُحْمَدَ ويُجزى على صلاحه وإيمانه، والمسيء الكافر لا تعطى له الفرصة لَيُعاقَبَ ويُجزى على إساءته وكفره، وهذا ظلم كبير.

فقضى الملك العادل أن يخلق تلك الأجناس **حتى يقضي بعدله بينهم**، فنادى على جنس من تلك الأجناس فإذا هم بين يديه، فكان المؤمنون في جانب والسيئون في جانب، فلما رأى السيئون قوة الملك العادل وقدرته والكل ساجد بين يديه، فقالوا خداعا ونفاقا آمنا بك يا ملكنا العظيم، فنظر إليهم الملك العادل وهو يعلم أنهم كاذبون، فهم قوم سيئون ما اعترفوا به إلا لأنهم رأوا هذا المشهد العظيم ورأوا قوته وعظمته، ولو أنهم ما رأوا ذلك لظهر باطنهم وقبحهم وحقيقة معدنهم السيء، فقد ادعوا زورا وكذبا أنهم مؤمنون. وكان الملك يعلم الغيب ويعلم أنهم سيسبونه ويجحدونه ويكفرون به، وسيقتلون ويسرقون ويزنون ويَكْذِبُون ويفعلون السيئات، وأنه حين يسألهم عن ذلك كله فسينكرون كل أفعالهم السيئة، فهم كاذبون مخادعون منافقون أصحاب معدن سيء. ولذلك لو أراد الملك العادل أن يعاقب السيئين بما يستحقوا من العذاب ويجزي الصالحين بما يستحقوا من النعيم بعد أن يخلقهم مباشرة لكان عدلا تاما وكان إنصافا لأنه يعلم حقيقة معدن كل واحد منهم [1].

لكن الملك يعلم أنه لو عاقبهم لاعترضوا عليه وقالوا كيف تعاقبنا على أشياء لم نفعلها فبعزتك إنما نحن صالحون ومؤمنون ولا يمكن أن نَكفُرك أو نسيء إليك أو ننكر فضلك علينا أو نجحد نعمك علينا أو أن نفعل السيئات، والملك يعلم إنهم كاذبون سيئون، سيكفرون به وسيفعلون السيئات وما آمنوا به أول مرة إلا خداعا ونفاقا، فقرر الملك العادل أن يمتحنهم لتظهر حقيقة معدن كل واحد منهم [2] ويُحقق

١- وهذا معنى الحديث: (لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرا لهم من أعمالهم) رواه أبو داود وابن ماجه من حديث أبي سنان سعيد بن سنان عن وهب بن خالد الحمصي عن ابن الديلمي. وصححه الألباني.

٢– وهذا المعنى العام لقوله تعالى ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾ سورة العنكبوت.

العدل في مملكته ويُثبِت لهم أنهم سيئون لا حق لهم في العيش في نعيمه. فهو الملك العادل الذي لا يُظلم عنده أحد أبدا، فكانت البداية أن عَرض عليهم أن يخوضوا هذا الامتحان [1] ليتبين إن كانوا صادقين في ادعائهم بالايمان بالملك وحبهم له. فجعلهم خلقا في أحسن تقويم ومَنَّ عليهم بأعظم النعم وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ينعمون ويتمتعون بجميع ألوان الملذات والشهوات لكن شريطة أن يشكروه ويتبعوا تعاليمه وشرعه حتى لا يظهر الفساد بينهم، وأمرهم بالصلاة والصيام والصدقة والجهاد لِتُخرج أضغانهم وتبين حقيقة معدن كل واحد منهم ليُعْلَم الشاكر من الجاحد ويُعلَم أصحاب الصلاح من أصحاب الشهوات، فمن يمتثل لتعاليمه وكتبه ورسله أثناء الامتحان ويثبت حسن معدنه فسوف يجزيه جزاءا عظيما ويدخله جنات لم يروا مثلها من قبل خالدين فيها ذلك الفوز العظيم، وأما الذين يجحدون نِعَمه ويكفرونه ويتبعون شهواتهم ولا يتبعون تعاليمه فستظهر حقيقة معدنهم السيئ وسوف يعذبهم عذابا شديدا ويجزهم نار جهنم خالدين فيها أبدا ذلك هو الخسران المبين، فوافقوا على هذا الامتحان العادل، فالمؤمنون الصالحون أرادوا أن يثبتوا إخلاصهم ويثبتوا أنهم مؤمنون صالحون، واغتر السيئون الكافرون وتاقت نفوسهم إلى الشهوات والملذات الفانية وطمعوا في النعيم الزائف وكانوا جهلة بذلك الاختيار.

---

١ – قال تعالى ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٢) لِّيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ سورة الأحزاب. والذي يظهر لنا أنّ الأمانة عُرضت على السماوات والأرض والجبال ليس لأجل الامتحان وإنما لِيَعلم الإنسان عِظَم هذه الأمانة وخطورة هذا الامتحان المصيري حيث رفضه من هو أشد منه قوة، وأن هذا الامتحان إنما جُعل ليُظهر المنافقين الذين آمنوا بالملك خداعا ونفاقا أول مرة. ولذلك لم يصفهم الله بالكافرين والله أعلم.

ونادى الملك على الناس جميعا وقال أتشهدون أني أنا الملك العظيم ولا ملك غيري فقالوا جميعا نشهد أنك أنت الملك وحدك وشهدوا على ذلك [1]، فقال الملك العادل محذرا لهم لا يَغُرنكم آباؤكم وأهلوكم فإني سأرسل لكم رسلا وكتبا لأرى إن كنتم صادقين في ادعائكم، فلا تكفروا برسلي وترضوا بالكفر فإنه لا سلطان لأحد عليكم ولا حجة لكم. فشهدوا على ذلك جميعا. وهكذا يمتحن الكافرون في مملكة الدنيا، فإن كَذّبوا برسل الملك ورضوا بالكفر فقد ظهر كذب ادعائهم وسوء معدنهم.

وكان الملك قبل ذلك قد أمر بإنشاء مملكة الأرض تحت ممالك السماء السبع ولذلك سميت المملكة الدنيا، وكانت السماء والأرض رتقا، فَفَتَقَ السماء عن الأرض فتقا، وجعل السماء حفظا وسقفا، وسَطَح الأرض وبسطها بسطا، ثم ثبتها بجبال رواسيَ شامخات فكانت أوتادا ووزنا، وأحكم نظامها فجعل فيها الليل لباسا، وجعل فيها النهار معاشا، وجعل فيها الشمس سراجا، وجعل فيها القمر نورا، كل في فلك يسبحون بقدرته العظيمة، وأنبت فيها جنات خضراء بهيجة، تشقها الأنهار والبحار، وتكثر فيها الثمار والأشجار، وأرسل فيها رياحا تحمل السحب لِتُوَازِنَ الطبيعة الجميلة، فينتقل الماء من مكان إلى مكان بأمر هذا الملك العادل، فكانت أجمل ما يكون وأحسن ما يكون.

١- وهذا معنى قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣) وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ سورة الأعراف.

ونادى الملك العادل على الأجناس الذين لا يعقلون فجاؤوا من العدم فجعل منهم الطيور والحيوانات والأسماك والحشرات وخلقا وأمما آخرين، وكل ذلك قبل خلق الإنسان، فَكُلٌّ خُلِقَ لِأَجْلِ مهمة محددة. فأصبحت المملكة في توازن دقيق حتى الورقة تسقط من الشجرة على الموضع الذي قُدِّرَ لها أن تسقط فيه لحكمة بالغة، لم يكن هناك شيء عبثي بل كل شيء بقدر.

ثم أمر الملك أن تكون المملكة الدنيا دار امتحان لتلك الأجناس التي تحوي على السيئين الكافرين والصالحين المؤمنين وأمر بأن يُمحَى كل ما حدث في اللقاء الأول بينه وبينهم حتى يظهر صدقهم من كذبهم في هذا الامتحان.

وهكذا مضت سنة الملك العادل في مملكته تتوالى الأجناس جنسا بعد جنس في مملكة الدنيا يُمتَحنون في أعمالهم ويقضي الملك فيهم بعدله، حتى جاء جنس النار فنزل الجن في مملكة الدنيا وكان منهم المؤمن الصالح ومنهم المسيء الكافر، ثم جلسوا برهة حتى أفسدوا في مملكة الدنيا كحال من سبقهم، ولما كثر فسادهم قرر الملك أن يُنزِّل عليهم عقابه ويَحْرِمَهم من حُكم مملكة الدنيا، فنظر الملك العادل إلى الصالحين وكانوا قلة، فوجد أكثرهم عبادة عزازيل وكان أبو الجن وأحسنهم عملا في ذلك الوقت لكن الملك العادل يعلم أنه سيء وشرير ولكنه لم يُظهِر شيئا من شره ومعدنه السيء بعد. فرفع الملك العادل عزازيل من مملكة الأرض الدنيا إلى مملكة السماء العليا حتى يمتحنه ويَظهَر معدنه الحقيقي لكي يتحقق العدل فطالما ادعى أنه صالح مؤمن.

وأَنزَل الملك العادل عقابه على الجن وأرسل جنودا أشداء فطردوا الجن إلى أماكن بعيدة تمهيدا لقدوم جنس جديد تُعطَى له فرصة حكم مملكة الدنيا ألا وهو جنس التراب أَيْ الإنسان، فلما رأى عزازيل أنه قد رُفع إلى مملكة السماء العليا دخل الغرور إليه وبدأ يَظهر معدنه السيء، وكان الملك العادل قد أَعَدَّ جسد آدم أبو الإنس استعدادا لامتحان جنس التراب، فلما رأى عزازيل جسد آدم، غار منه وحقد عليه وحسده، فغار أبو الجن من أبي الإنس، وتمكن منه الغرور فاعتقد أنَّ جنس النار أعظم وأقوى من جنس التراب وقال أنا خير منه لإن سُلِّطْتُ عليه لَأُهْلِكَنَّهُ، فتمنى أن يُهْلِكَ جنس التراب حسدا منه وحقدا، فلما رأى الملك العادل هذا الشر والحقد والحسد الذي وصل به إلى تمني إهلاك جنس بأكمله، أراد أن يمتحنه بشيءٍ يُظهر معدنه الحقيقي، فأتم الملك العادل خلق آدم ونفخ فيه الروح، وكان عزازيل يَعُدُّ نفسه من الملائكة لغروره وظنه أنه أدرك مكانتهم، فقال الملك العادل للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا كلهم إلا عزازيل تكبر وأبى أن يسجد، ولما انتهى السجود قام الملك بتعليم آدم أسماء الأشياء من حوله وخلق له زوجة من نفسه يسكن إليها وتسكن إليه، وأخبرهما الملك العادل بما فعل عزازيل وأنه رفض أن يسجد لآدم وأخبرهم بأن عزازيل شخص سيء فاحذروا منه ولا تسمعوا له فإنه يحقد عليكما ويحسدكما، ثم أجاز لهما نعيم جنته كلها بكل ما فيها من خيرات وثمار وأشجار إلا شجرة واحدة، حذرهم أن يأكلوا منها أو يقربوها فكانت بداية امتحان جنس التراب، ونادى الملك العادل على عزازيل وقال له لماذا لم تسجد لآدم؟ أستكبرت أم كنت من الكافرين؟ فقال عزازيل أنا خَيرٌ منه ولكنك فَضَّلتَه عليّ وأمرتني أن أسجد له، ثم قال في غرور لن أسجد لمن هو أقل مني مكانة ودرجة

ولن أطيعك في ذلك أبدا، فأوصله الكبر والغرور إلى التمرد على الملك العادل فكفر بحكمة الملك وعدله وأساء إليه إساءة عظيمة واختار أن يكون عدوا للملك على أن يسجد لآدم وظهرت حقيقة معدنه السيء، فغضب الملك العادل وأمره أن يخرج من المملكة العليا ويعود إلى المملكة الدنيا مع الكافرين أمثاله، فقال عزازيل للملك العادل أَنظِرني في مملكة الدنيا إلى آخر يوم فيها، فوافق الملك العادل وهو يعلم مراده وقال له إنك من المنظرين وإنَّ عليك لعنتي إلى يوم الدين، ثم قال عزازيل لقد أغويتني بجنس التراب (فهو يظن أنّه لو لم يُخْلَق آدم لما حدث له هذا) فاجعل لي سلطانا عليهم، فغضب الملك من غروره وسوء قوله وإلقاء اللوم على خلق آدم وقال له فلتخرج صاغرا مطرودا من مملكتي فلا سلطان لك عليهم إلا من تبعك من السيئين أمثالك. وهكذا ظهر عزازيل على حقيقته القبيحة بعد أن أغوته نفسه السيئة وأصبح من أشد أعداء الملك ومن أشر ما خلق الملك فقد تخطى كل الحدود وأصبح يحارب الملك ويدعو الناس إلى الكفر به والجحود به فلعنه الملك أشد لعنة وغضب عليه غضبا عظيما لأن معدنه سيئ امتلأ حقدا وحسدا وبغضا وكرها وكفرا. فلما رأى عزازيل أنه خسر كل شيء بسبب جنس التراب، لم يزده ذلك إلا حسدا وحقدا، وبينما عزازيل في طريقه للخروج من مملكة السماء العليا لقيَ آدم وحواء، وكان يُكِنُّ لهما كل الشر والحقد والحسد، فلمّا رأى آدمَ قال يا آدمُ أتدري لماذا أمرك الملك بأن لا تأكل من هذه الشجرة المحرمة فقال له آدم لِمَ! فقال عزازيل لأن هذه الشجرة سِرُّ الخلود والملك العادل أخفى عنك ذلك حتى لا تكون من الخالدين، ومازال يُقْسِم لهما على ذلك حتى أكل آدم وحواء من الشجرة، فأصاب آدم وحواء التعب الشديد، فنادى الملك العادل غاضبا وقال يا

آدم ألم أقل لكما ألا تأكلا من هذه الشجرة، ألم أقل لكما ألّا تسمعا لعزازيل، ألم أحذركما من عزازيل، أتعصيان أمري وتخرجان عن طوعي، ثم قال الملك العادل لآدم وحواء وعزازيل اخرجوا جميعا من مملكة السماء وانزلوا إلى المملكة الدنيا بعضكم لبعض عدو.

وهكذا لم يهنأ آدم منذ أول يوم وُجِدَ فيه، ولم يلبث في مملكة السماء سوى ساعة من آخر يوم الجمعة، ثم نزل آدم وحواء إلى المملكة الدنيا وهم نادمون على ما فعلوا، فهم أناس صالحون غَرَّر بهم عزازيل فعصوا الملك، لكن سرعان ما أفاقوا ونادوا الملك العادل وطلبوا منه العفو والسماح والمغفرة، فلما رأى الملك العادل صِدقهم وإخلاصهم عفا عنهم وغفر لهم، وأخبرهم أن يحذروا من عزازيل وأن يُحَذِّرُوا ذريتهم منه، ثم أمرهم الملك العادل باتباع تعاليمه في مملكة الدنيا وأخبرهم أن وجود عزازيل جزء من الامتحان الذي قضاه الملك العادل على جنس التراب لِيُعْرَفَ الصالح المؤمن من المسيء الكافر، وحتى يتحقق العدل في جنس التراب.

وهكذا مضت الأيام والسنون وأصبح لآدم ذرية منهم محسن ومنهم ظالم لنفسه مسيء، فكانوا على أربعة أصناف:

- أما الصنف الأول فهم من أغوتهم نفوسهم السيئة إلى ترك تعاليم الملك عمدا، فكان سوء معدنهم سببا كافيا لأن يكفروا بالملك العادل وينكروا وجوده ويجحدوا نعمه فأبوا أن يطيعوه وكانوا أعداءا له.

- وأما الصنف الثاني فهم من أغواهم عزازيل بوسوسته (دون أن يكون له سلطان عليهم لأن ذلك ينافي قواعد الامتحان) فأصبحوا من جنوده دون أن يدروا، فكفروا بالملك العادل وأصبحوا عدوا للملك يسبونه ويحاربون تعاليمه ويعادون أولياءه ويمنعون الرسل من تبليغ دعوة الملك، وكَذَبوا وادعوا أنّ هناك من هو غير الملك العادل يملك العوالم ويحكمها وصدّقوا افتراءاتهم وكذباتهم فقاتلوا عليها وماتوا على ذلك، كل ذلك لأنهم سيئون ومعدنهم سيء لم يتقبلوا حكم الملك العادل ولم يؤمنوا به.

- وأما الصنف الثالث فهم من غلبتهم الشهوات والملذات، واستجابت نفوسهم لأهوائها، ولكن لم يكفروا بالملك ولم يلفظوه بل تركوا تعاليمه وانشغلوا بالشهوات فضلوا الطريق.

- أما الصنف الرابع فهم الصالحون المؤمنون أصحاب المعدن النفيس الذين أحبوا الملك العادل دوما وأخلصوا له وامتثلوا لتعاليمه وصبروا على أذية السيئين لهم، فقابلوا الإساءة بالنصح، يذكرونهم بتعاليم الملك ويذكرونهم بما حدث في اللقاء الأول بينهم وبين الملك ويبينون لهم قدرة الملك وعظمته، ويذكرونهم بالعهد والمواثيق التي أعطوها للملك لعلهم يهتدون وينجون من العذاب الخالد الأبدي الذي توعدهم به الملك العادل، ويخبرونهم بما أخبرهم به الصالحون من قبلهم من أن هذه المملكة الدنيا دار امتحان وهم من وافقوا على هذا الامتحان ليثبتوا صحة ادعائهم آنذاك بأنهم صالحون مؤمنون لا يسيئون إلى الملك ولا يحاربونه.

ومع مرور الأيام والسنين قل عدد الصالحين وكثر عدد السيئين وأولياء عزازيل، فَحَكم السيئون مملكة الدنيا فأفسدوا فيها وحكموا بين الناس بغير ما أوصاهم به الملك العادل فكثر الزنا والقتل والسرقة وأكل أموال الناس بالباطل.

فقام الملك العادل باختيار أحسن الناس في مملكة الدنيا ليكلفه برسالة يوصلها إلى أولئك القوم السيئين، فلما أتاهم الرسول بكتاب الملك العادل كذَّبوا به وسخروا منه وقالو لن نصدقك حتى تأتينا بمعجزة، فلما أتاهم بمعجزة قالوا هذا ساحر مبين.

فغضب الملك العادل منهم فأهلكهم لأنهم سيئون ذو معدن سيء، كاذبون ادعوا الصلاح وحب الملك وهاهم الآن يكفرون ويُفسدون في الأرض، فأضاعوا الفرصة التي بين أيديهم بأنفسهم، والملك العادل يعلم سلفا بأنهم كاذبون، ولكن من عدله أن أعطاهم فرصة حتى لا تكون لهم حجة في اللقاء الثاني.

وبعد أن أهلك الملك العادل أولئك السيئين مَكَّنَ للصالحين من حُكم مملكة الدنيا مرة أخرى، ومرت السنين فتقادم العهد على الناس، فكثرت أعداد السيئين وتكررت الأحداث فتمكن السيئون من حكم مملكة الدنيا، فأرسل الملك العادل رسله فمنهم من كُذِّب ومنهم من قُتل ومنهم من أُتُّهِمَ بالسحر والجنون.

وهكذا أصبحت مملكة الدنيا محلا للصراع بين الخير والشر وبين الصالحين المؤمنين الذين أحبهم الملك وبين السيئين الكافرين الذين ادعوا كذبا اتباعهم للملك فظهروا على حقيقتهم.

وجاءت أقوام وذهبت أقوام، فَامْتُحِنَ قوم نوح وهلكوا إلا قلة نجوا مع نوح وكذلك امتُحِن عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة وغيرهم حتى جاء قوم فرعون فطغوا في الأرض وأفسدوا فيها، فقتلوا الأطفال واستحيوا النساء فأرسل الملك العادل لهم طفلا صغيرا لِيُرَبوهُ بأيديهم فيكون رسولا عظيما بعد ذلك ثم يزيل مُلكهم عدلا منه وجزاءا لهم من جنس ما عملوا، فكان ذلك الطفل موسى عليه السلام وكان كتابه التوراة فلما بُعِثَ إليهم كذبوه وطلبوا منه معجزة فلما أتاهم بالمعجزات قالوا ساحر مبين، فنصره الملك العادل عليهم وأهلكهم ومكن لموسى ومن معه، فما لبث قوم موسى على العهد إلا يسيرا حتى أضاعوا كتاب الملك وحرفوه واتبعوا غير الملك فغضب الملك عليهم ونبذهم، وأرسل لهم رسولا عظيما اسمه عيسى، فكان ميلاده معجزة عظيمة وأنطقه الملك في المهد فكانت معجزة أخرى حيث أتت أمه مريم عليها السلام إلى قومها تحمله وهو رضيع فكلم قومه وأخبرهم بأنه رسول من عند الملك العادل جاء ليرشدهم إلى الطريق الحق وجاءهم بكتاب اسمه الإنجيل، لكنهم فعلوا كمن سبقهم فكذبوه وطلبوا منه معجزة فلما أتاهم بالمعجزات قالوا ساحر مبين وهموا بقتله لكن الملك العادل نجاه ورفعه إلى مملكة السماء العليا فما لبث أتباعه إلا قليلا حتى أوذوا إيذاءا شديدا فاجتمع السيئون وأتباع عزازيل على الصالحين فقتلوهم وحرفوا الكتاب، وأضل عزازيل خلقا كثيرا من جنس التراب، فاتخذ الناس عيسى ملكا لمملكة الدنيا ومملكة السماء وتركوا الملك العادل، فغضب الملك منهم غضبا شديدا ومقتهم بسبب كفرهم به وظلمهم وافترائهم على رسوله عيسى بأنه الملك العادل الذي يحكم العوالم، فقرر أن يُرسل رسولا خاتما يكون آخر الرسل ويكون قومه آخر الأمم إيذانا بنهاية مملكة الدنيا.

فاطلع الملك العادل على قلوب كل من في مملكة الدنيا فلم يجد أفضل من قلب محمد ﷺ، فقد كان خير من وطأت قدمه مملكة الدنيا، وأحسن الناس خُلقا، وأكمل الناس عقلا، خير من أكرم الضيف، وأرحم من حمل السيف، خير من نصر المظلوم، وخير من أطعم المسكين، وخير من آوى اليتيم. كان وجيها في قومه، لم يشرب الخمر أبدا، ولم تمس يده يد امرأة لم تحل له أبدا. كان يلقب بالصادق الأمين، وكان يأمر بمكارم الأخلاق وينهى عن الرذائل. فاختاره الملك العادل رحمة للعالمين، وأنزل معه آخر الكتب وهو القرآن الكريم، فأوضح فيه كل شيء حتى لا يكون هناك حجة لأحد، وذَكَّر الناس بالعهد وباللقاء الأول، وبيّن لهم أيما تبيان أنه لا ملك غيره في الكون، وأمرهم أن ينظروا إلى مُلكِهِ وإلى مملكة الدنيا التي يعيشون فيها ليتدبروا ما فيها فيعرفوا عظمة الملك وقوته وقدرته فيؤمنوا به ويهتدوا إليه ويكفوا عن سبه وادعاء المُلْكِ لغير الملك. وبيّن لهم أنهم في امتحان لتحقيق العدل لِيُعْلَمَ أهل الصلاح والإيمان من أهل الفساد والكفر. لأنه هو الملك العادل الذي يعدل في كل ممالكه بعدله ويأبى بالظلم فلا يستوي أهل الحق وأهل الباطل عنده، وقد بين لهم ذلك في القرآن أيما تبيان، وبيّن لهم أنما خلقهم من أجل إحقاق العدل **فكانت الحكمة الأساسية من خلقهم هي العدل** كما أخبر في خواتيم سورة هود، **وكان السبيل إلى تحقيق العدل أن يُكَلفوا بالعبادة** كما أخبر في سورة الذاريات، فَيُعلَمَ الكافر من المؤمن بالعبادة، ويُعلم درجات الناس في الإيمان بدرجة عبادتهم، **فكان العدل حكمة أصلية وكانت العبادة حكمة تبعية، ليس كما ظن البعض بأن العبادة هي سبب الخلق، فالملك العادل لا تنفعه عبادة الناس ولا تضره وإنما هي وسيلة لتحقيق العدل**، ونحن نعني بالعبادة هنا هي التكاليف الشرعية الواجبة،

أما تسبيح الله وتهليله وحبه وخشيته فهي أمور فطرية لا تحتاج إلى تكليف وهي باقية حتى بعد زوال مملكة الدنيا ونهاية الامتحان، فالصالحون والمؤمنون في الجنة لا يفترون عن الذكر والتسبيح وذلك لأنهم يحبون الملك ويعرفون قدره، فهم على حبه وخشيته منذ أول لحظة أوجدهم الملك فيها، وكذلك الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون مع أنهم غير مُكلَّفين بالعبادة لأنهم يعلمون عظمة الملك وقدرته وجلاله فهم يسجدون لله خوفا منه وإجلالا له، فالكون كله يسجد للملك ويسبح بحمده لعظمته وقدرته، إلا الكافرون السيئون أصحاب المعدن السيء الذين أساؤوا إليه وسبوه وزعموا كذبا وكفرا بأنه لا يستحق أن يكون الملك بل واتخذوا مخلوقات أخرى ونصبوها في منصب الملك، فهذا ظلم عظيم لذلك قال الملك إن الشرك لظلم عظيم، فاستحقوا بذلك أشد العقاب فَطُرِدُوا من رحمة الملك وَوُضِعُوا في جهنم إحقاقا للعدل وتخليصا للكون من شرورهم. فالعدل هو الحكمة الأساسية من الخلق والأدلة على ذلك كثيرة فإن شئت فاقرأ قوله تعالى في سورة ص: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾. فالآية صريحة أنّ سبب خلق السماء والأرض و "كل ما بينهما من خلق" هو لتحقيق العدل وعدم مساواة السيئين بالصالحين. وأيضا إن شئت فاقرأ قوله تعالى في سورة هود: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (١١٨) إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ فلا يوجد دليل أصرح من هذه الآيات الكريمات على أنّ العدل هو سبب أصل الخلق فبسبب اختلافهم في الإيمان والكفر خلقهم الله، بل قال: "ولذلك خلقهم"،

وإن شئت فاقرأ قوله تعالى في سورة يونس: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ فهنا ذكر ملك الملوك أن الحكمة من أنه خلق جميع الخلق هو لأجل تحقيق العدل فيجزي المؤمنين والكافرين بما يستحقون. وهذا دليل صريح على أن الحكمة من الخلق هو تحقيق العدل.

وإن شئت فاقرأ قوله تعالى في سورة الدخان: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٩) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾. فأخبرهم أنه لم يخلق السماوات والأرض لعباً بل خلقهم بالحق، ثم أتبعها قائلا: "إنّ يوم الفصل" أي العدل، فأتبع سبب الخلق بقضية العدل.

وأيضا لَمَا ذكَر الله عز وجل الصراع بين المؤمنين والكافرين في سورة الحجر أتبع هذا الصراع بقوله ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ﴾ أي لتحقيق العدل، وأيضا في سورة الأنبياء في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ (١٧) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ﴾ فمعنى الآية صريح في أنّ الحكمة من خلق السماء والأرض وما بينهما هو قذف الحق على الباطل وتحقيق العدل، وإن شئت فاقرأ في سورة الجاثية: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١) وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. فالآية صريحة فبسبب ألا يُساوى بين الذين أساؤوا

وبين الذين آمنوا ثم خلق السماوات والأرض ثم أتبعها بقوله ولتجزى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون أي لتحقيق العدل، وإن شئت فاقرأ قوله تعالى في سورة الملك: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾. فهذه الآية العظيمة هي الجامعة، فهذه المرة لم يتكلم الملك العادل عن خلق الإنسان أو خلق السماوات أو خلق الأرض وإنما تكلم عن خلق الموت والحياة، فهذا أشمل وأعظم وأعم، وذكر أن الحكمة من الخلق هو تحقيق العدل فَيُعْلَمَ المؤمن الصالح من المسيء الكافر، العدل ثم العدل ثم العدل. والذي يقرأ القرآن ويتمعن فيما بيناه يتبين له هذا المعنى جليا، **فالحكمة من الخلق حكمتان، حكمة أصلية وهي العدل وحكمة تبعية وهي العبادة، فالعبادة وسيلة لتحقيق العدل.**

وحذرهم في القرآن من اتِّباع الشيطان عزازيل الذي توعدهم وكان سببا لخروج أبيهم آدم من مملكة السماء، وذَكَّرهُم بما حل بالأمم السابقة وكيف أهلكهم لما ضلوا وكفروا وتركوا كتابه وتعاليمه وقد أعطوا العهد من قبل لكن ها هم اليوم يكفرون بالملك ويرفضون تعاليمه، وقد بين ذلك في القرآن أيما تبيان فلا تكاد تخلو سورة من تذكيرهم بما حل بالأمم السابقة حتى ينتهوا ولا يفعلوا مثل ما فعلوا، فالتكرار هنا من باب التحذير.

وبيّن لهم أنهم يملكون إرادة أفعالهم في فعل الخير والشر **وأنّ كل ما كُتِبَ في الكتاب إنما هو استنساخ لما سيفعلونه في المستقبل** (١) حتى يكون حجة عليهم في اللقاء الثاني، فالملك لم يجبر أحدا على فعل الخير أو الشر، فقد كتب الملك العادل في الكتاب كل شيء سيكون بما في ذلك الأرزاق والأقدار وكل ما سيفعله الناس، وذلك بقدرته العظيمة وعلمه للغيب الذي أحاط بكل شيء سواء كان في الحقيقة أو في العدم.

وبيّن لهم أنه أَوْكَلَ لكل واحد منهم ملكا عن يمينه وملكا عن شماله ليكتبوا الخير والشر، لأن الملك العادل يعلم أنهم في اللقاء الثاني سَيَكْذبون وسيقولون لم نفعل شيئا سيئا قط، فَيُخْرِجُ الملك العادل لكل واحد منهم كتابه وهذا من تمام عدل الملك ألا يعذبهم حتى يقروا بذنوبهم ومع ذلك سَيُنكرون ويَكْذِبُون فيأمر الملك أيديهم وأرجلهم وألسنتهم وجوارحهم أن تشهد عليهم فَيُبْهَتُونَ ويُقرون ويُبْدُونَ الندم يوم لا ينفع الندم، ويقولون أعطنا فرصة ثانية ولكن هيهات هيهات فقد قُضي الأمر ومضى حُكمُ الملك الحَكَم.

وبيّن لهم في هذا الكتاب العظيم أنّ الرسل لا يسألونهم أموالهم أو أشياء عظيمة (٢) وإنما كل ما طلبوه منهم هو أن يتبعوا الكتاب الذي جاؤوا به من عند الملك ويؤمنوا بالملك العادل الذي يعيشون في مُلكه وينعمون من نعمه ويأكلون من خيره، فقد أعطاهم وكرمهم لكنهم جاحدون ذو معدن سيئ.

١- وهذا معنى قوله تعالى ﴿هَـٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ سورة الجاثية.

٢- حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري حدثنا أبي حدثنا شعبة عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى لأهون أهل النار عذابا لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتديا بها فيقول نعم فيقول قد أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك ولا أدخلك النار فأبيت إلا الشرك. رواه مسلم.

وبيّن لهم أنه أرحم الراحمين، وهو أرحم بهم من أمهاتهم، فهو يفرح لتوبة أحدهم وإقباله عليه، وهو يريد أن يرحمهم جميعا، فالملك العادل لا يريد أن يعذب أحدا، ولا ينفعه أو يضره إيمان الناس من كفرهم، لكنّ أولئك السيئين أنكروا الملك وأعرضوا عنه وسبوه وجحدوه وكذّبوا رسله وعاندوه وخرجوا عن طاعته وحاربوه وتجرأوا عليه فأخرجهم الملك من رحمته عدلا منه وإنصافا، **لذلك كانت رحمته وهدايته ينالها الصالحون والتائبون** العائدون من طريق الخطأ فهو يهديهم لأنهم يبحثون عن طريق المَلِكِ فكانوا مستحقين للهداية، أما العاصون المستكبرون والكافرون المجرمون فهو شديد العقاب بهم، لا يهديهم لأنه كلما أراهم آية أعرضوا، وكلما أرسل لهم رسولا كذّبوا، فقد رفضوا هداية الملك **وأصروا على رفضها** فلم يستحقوا الهداية. فلو علم الملك العادل فيهم خيرا لأسمعهم، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون.

وبيّن لهم أنّ القتل من أعظم الذنوب فإن القاتل يَحْرِمُ المقتول من فرصة خوض الامتحان، والامتحان في مملكة الدنيا لن يعاد مرة أخرى، فإفساد امتحان شخص واحد يعني هدم منظومة الامتحان كلها لأنه لا إعادة، لذلك قال الملك في القرآن ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ فأصبح قتل انسان واحد كقتل الناس جميعا، فكان جُرما عظيما لا يغتفر ولا يعوضه شيء، إلا أن رحمة الملك أوسع من ذلك.

وأخبرهم بأخبار من كان قبلهم وبعض ما هو آت بعدهم، وبيّن لهم بعض أسرار خلقهم وبعض أسرار خلق مملكة الدنيا والتي لم يكونوا يعرفونها ليثبت لهم أنه هو من أوجدهم وأنه هو من صنع مملكة الدنيا، فلا تكون لهم حجة بعد ذلك، ومع ذلك فقد كفروا بما تعهدوا أن يؤمنوا به من قبل، فهم سيئون في معدنهم كاذبون في ادعائهم.

وأخبرهم أنه أحكم الحاكمين فكل أمر جاء في كتابه إنما هو لحكمة تستقيم به أمر مملكة الدنيا وهو أعلم منهم بذلك فكل أحكامه وتعاليمه رحمة لهم وإن بدا لهم غير ذلك، فمثلا أَمْرُه بقتال فئة معينة من الناس يكون ظاهر الأمر فيه أنه سفك للدماء، ولكنّ جنس التراب جاهل لا يعلم ما يعلمه الملك، فالملك حكيم أعلم منهم، فقد أمرهم بقتال الذين يُرغمون الناس على الكفر ويمنعون المؤمنين من تبليغ رسالة الملك ونصح الناس، لأن ذلك مُنافٍ لقواعد الامتحان فلا إكراه لأحد على أحد بالكفر أو الإيمان ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ سورة الكهف. وقال تعالى ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ فهؤلاء الذين يُرغِمون الناس على الكفر لا بد أن يُسْتَبْعَدُوا من الامتحان إن أصروا حتى يكون الامتحان عادلا، وكذلك الساحر يُقتل لأنه يُرغم الناس على فعل الأشياء بدون إرادتهم فالسحرة يفرقون بين الناس فيجعلون الرجل يطلق زوجته بدون إرادته، وهذا مناف لقواعد الامتحان. فكان لا بد أن يُسْتَبْعَدُوا من الامتحان. وكذلك من قَتل وحَرَمَ الناس من الامتحان فيُقتَل ويُحرَم من الامتحان بالمثل، فما أعدل هذا الملك وما أحكمه،

وهكذا يتبين أنّ الحُكْمَ إن كان ظاهره قسوة إلا أنه يكون عادلا ورحمة، حتى تستقيم أمر مملكة الدنيا ويكون الامتحان عادلا للجميع، فالملك يعلم أنّ هناك من جنس التراب من هو تائه يبحث عن الطريق ومنهم من هو غافل، فهم ليسوا مثل أولئك السيئين وإنما مساكين ضلوا الطريق بسبب هؤلاء السيئين الذين يرغمونهم على طريق الشر ويمنعون الصالحين من نصحهم، لذلك اقتضت حكمة الملك بأن يرسل رسله إلى الضالين السيئين حتى يهتدي من كان في معدنه صلاح وتقوم الحجة على الآخرين الذين هم معدنهم سيء، فهؤلاء الذين يمنعون الرسل بقوة السلاح عن تبليغ رسالة الملك ويُجبِرُون الناس على الكفر إنما يخالفون قواعد الامتحان، فكان لا بد من إبعادهم واستئصالهم حتى لا يحتج أحد بأنه قد أُرغم على الكفر أو يحتج أحد بأنه لم يسمع رسالة الملك. وبِمُجَرد أن يُمَكَّنَ الدعاة من إيصال رسالة الملك فهنا تأتي إرادة الناس الكاملة في الكفر أو الإيمان فلاسلطان لأحد على أحد بالكفر أو الإيمان.

والذي يقرأ القرآن يتبين له جليا أنّ كل آيات القتال الواردة في القرآن إنما جاءت إما للدفاع عن النفس كقوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ سورة البقرة. أو لقتال الذين يُجبِرُون الناس على الكفر ويمنعونهم من الدخول في الإسلام ويمنعون رسالة الملك بأن تصل إلى الناس الذين يحكمونهم فكانوا حاجزا وعقبة لوصول الحق إلى عموم الناس وهذا معنى قوله ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ سورة البقرة. أي إذا أنتهى أولئك الظالمون من منعكم من تبليغ الرسالة فاتركوا قتالهم ولا تعتدوا عليهم، إنما القتال يكون على الظالمين منهم فقط. فإن تركوا القتال فيقول الله عز وجل ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ

الْعَلِيمُ﴾ سورة الأنفال. بل أوصى الملك العادل بالمسالمين من الكفار خيرا فقال ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ سورة الممتحنة. فأي عدل أعظم من هذا.

وأتم الملك العادل كتابه على أحسن ما يكون بعد أن بين لهم وفصل لهم كل شيء، ثم ذَكَّرهُم بالجنة ونعيمها وما فيها من أشجار وثمار، وطعام وشراب، ونعيم لم يروا مثله من قبل، وما فيها من أنهار من لبن وأنهار من عسل وأنهار من خمر لذة للشاربين، وما فيها من قصور من ذهب ولؤلؤ، ولهم فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، والحياة فيها سرمدية أبدية لا نصب فيها ولا تعب، ولا يكلفون بأي عبادات أو بعمل أي شيء، كل هذا لأنهم صالحون مؤمنون، فالملك خزائنه لا تنفذ وهو يجازي بأحسن الذي كانوا يعملون. وحذرهم من النار وويلاتها ومن جهنم وسعيرها، ومن حرها وسمومها، ومن شدة العذاب فيها، فطعامهم في جهنم تصهر منه البطون وشرابهم الحميم، فلا يسمع لهم إلا الصراخ والبكاء والندم والشقاء، فبئس المنزلة من اختارها فهي تليق بأولئك السيئين الذين سبوا الملك ولم يعترفوا به وهم يعيشون في ملكه ويجحدون نعمه.

وتعهد الملك بحفظ هذا الكتاب من الضياع لأنه لن يرسل رسولا آخر فكان القرآن آخر كتب الملك من مملكة السماء العليا إلى مملكة الأرض الدنيا، فبعد أن بَلَّغَ الرسول محمد ﷺ رسالة الملك وأدى ما عليه توفي إلى رحمة الملك، وما لبث الناس بعده حتى اختلفوا كحال من كان قبلهم في بعض آيات

القرآن، فاختلفوا أهي من القرآن أم من وصايا الرسول محمد ﷺ، فأبى الملك أن يُصيب كتابه ما أصاب الكتب من قبله من تحريف وتغيير فهو لن يرسل رسولا آخر، فَجَمَعَهم الملك على قلب رجل واحد وألف بين قلوبهم وهداهم جميعا إلى هذا الكتاب الذي بين أيدينا اليوم.

فلولا أنهم اختلفوا لما كان حِفظ الملك لكتابه إعجازا، فكان الإعجاز في اجتماعهم جميعا على كتاب واحد بعد أن اختلفوا، وهذا ما لم يستطع أصحاب الكتب من قبله أن يفعلوه.

وهكذا تتوالى الأحداث وتتشابه وتتكرر مرة أخرى، فما لبث الناس بعد وفاة محمد ﷺ إلا قليلا حتى تقادم عليهم العهد، ويوما بعد يوم تقل أعداد الصالحين وتكثر أعداد السيئين حتى وصلنا إلى هذه اللحظة التي أكتب فيها كلماتي هذه، وإلى يومنا هذا الذي تمكن فيه السيئون من حكم مملكة الدنيا، فَتَرَك الناس تعاليم الملك وكثر الفساد مرة أخرى.

وهكذا تخوض آخر أمة من جنس التراب آخر امتحان لها إيذانا ببدء زوال مملكة الدنيا واستعدادا للقاء الثاني مع الملك العادل. وهذه قصة أخرى تحوي أحداثا عظيمة يشيب لها الولدان وتشخص لها الأبصار وهذا ما سنعرفه في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

حوار هادئ لإجابة الأسئلة الخمسة

إجابة السؤال الأول: لماذا خلقنا الله؟

خلقنا الله من أجل تحقيق العدل في مملكته. فبعد أن خلق الله مملكته اقتضت حكمة الله وعدله أن يخلق خلق النار وخلق التراب وخلقا آخرين لا نعلمهم حتى يُحقق العدل في مملكته. لأن الله عَلِمَ بعلمه الأزلي أن بعض هذا الخلق سيئون مجرمون وبعضهم صالحون محسنون فكان من تمام عدل الله أن يخلقهم ويعطي كل واحد منهم فرصة ليظهر معدنه الحقيقي في امتحان مملكة الدنيا ثم يجازيه الله على ما يستحقه. فلو لم يخلق الله خلق التراب لما كان هناك فرصة لموسى عليه السلام ليثبت صلاحه وحسن معدنه وينال ثواب الله ولما كانت هناك فرصة لفرعون ليثبت كفره وسوء معدنه وينال عقاب الله. وهذا فيه ظلم كبير لأن المحسن لا ينال ثوابه والمسيء لا ينال عقابه وحاشى لله أن يُظلم أحد في مملكته حتى ولو كان ظلما في العدم فعدل الله أعظم من أن يوصف وعدله شمل كل الوجود وكل ما يمكن أن يوجد في الوجود بمشيئته جل جلاله سبحانه وتعالى.

فعدل الله ليس كعدل أحد من الخلق فهو الإله الكامل الذي لا يضاهيه أحد في صفاته. فالعدل من المنظور الإلهي هو أن أصحاب المعدن السيء لا يستحقون العيش في جنة الله ونعيم الله في مملكته الأبدية وإنما يستحقون العيش في مكان يعاقبون فيه على كفرهم وسوء معدنهم ألا وهو جهنم. ومعدن الشخص هو **جوهره وحقيقته التي لا تتغير بزمان ولا بمكان**، لذلك من ثبت سوء معدنه حكم عليه بمصير أبدي لأنه مهما أعطيت لهم الفرص العادلة ليظهروا معدنهم فلن يظهروا إلا حقيقتهم الداخلية

وجوهر صفاتهم السيئة لذلك قال الله عز وجل ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ لذلك كان المصير أبديا سواء لمن يثبت سوء معدنه أو حسن معدنه.

السؤال هنا على أي أساس يحكم الله عز وجل على الانسان بأنّ معدنه حسن أو سيء؟. الجواب: أن الله عز وجل يحكم على العبد بأنه صالح أو سيء من خلال حقيقة قلبه وعمله. وهذا ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم. فالله ينظر إلى القلب أولا فإن كان قلبا صالحا قَبِلَ بعد ذلك الأعمال الصالحة أما إن كان قلبا سيئا فإنه لا يقبل الأعمال الصالحة من القلب السيء. وهنا قد يقول قائل كيف يكون قلبا سيئا ويعمل أعمالا صالحة. القلب السيء هو القلب الذي يحوي على الصفات السيئة التي توقع صاحبها **في ذنوب عظيمة لا تغتفر** وهذه الذنوب لا ينفع معها أي عمل صالح إلا التوبة لعظم هذه الذنوب. فلو أوتيَ بميزان الله ووضعت إحدى هذه الصفات السيئة في كفة ووضعت جميع الأعمال الصالحة في كفة لرجحت كفة الصفات السيئة. لذلك كان عدل الله عدلا لا يضاهيه عدل. فمثلا لو أن إنسان سب أمه أمام الناس وأساء إليها اساءة عظيمة وهي امرأة عجوز مسكينة قد أفنت حياتها من أجل سعادته وكانت لا تنام الليل من أجله وكانت تقدم راحته على راحتها فيأتي هذا الابن العاق فيسبها ويسيء إليها أمام الناس ثم بعد ذلك يلقى طفلا صغيرا فيداعبه ويهديه هدية. ماذا سيقول عنه الناس؟ سيظل مجرما في أعين الناس حتى ولو كان لطيفا مع ألف طفل. فعدل الناس الفطري قضى بأن هذا الرجل ذو معدن سيء حتى ولو أحسن إلى طفل أو امرأة أخرى بعد أن أساء إلى أمه. **لأن إساءته إلى أمه لا تقارن بإحسانه إلى غيرها**. وكذلك الحال مع الله وهو أعظم من الأم منزلة وفضلا فبعد أن خلقنا الله وأنعم علينا بكل ما نحن فيه من النعم وخلقنا في صورة حسنة وأعطانا نعمة السمع والبصر والحركة والإحساس والشعور

بالملذات والشهوات من طعام وشراب وأنعم علينا بأطعمة مختلفة لا حصر لها وخلق لنا عالما وكوكبا فريدا من نوعه يناسب طبيعتنا وخلق لنا الشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض والجبال والأنهار والرياح والسحب... وكل شيء حولنا خُلِقَ من أجلنا. ثم يأتي بعد ذلك شخص وينكر فضل الله عليه وينكر نعمه ويجحده ولايشكره فبالطبع هذا انسان جاحد كافر يسب الله بكفره له وإن كان لا يسبه علنا. فهذا شخص ذو معدن سيء لا ينفعه أي عمل صالح بعد ذلك إلا أن يتوب من ذلك ويعتذر. فلا يمكن لشخص مخلص وَفِيّ أن يتساوى مع شخص جاحد كافر. فلا يعقل أن يكون شخص ما يسب ملكا عظيما ولا يعترف به ولا يعترف بحكمه ولا بملكه ثم يأتي قصره ويطلب منه أن يعيش معه في القصر ؟؟ فربما يقول قائل لو أن هذا الملك رحيم وكريم لفعل ذلك وسمح له أن يعيش في قصره. لكن السائل نسي أن يكمل الصورة فلو كان الملك رحيما كريما فهذا يقتضي أن يسمح الملك لكل من أراد العيش في قصره أن يعيش فيه وهذا يعني أن المخلصين للملك سيعيشون جنبا إلى جنب مع الجاحدين والمنكرين للملك الذين لم يتبعوا تعاليمه ولم يؤمنوا به قط بخلاف المخلصين الذين ضحوا من أجل الملك لأنهم يؤمنون به ويعترفون به فعاشوا من أجله. فإذا سمح الملك للجاحدين والمنكرين والرافضين لحكمه والذين لم يتبعوا تعاليمه بالعيش في قصره مع الأوفياء والمخلصين لوقع الظلم على الأوفياء والمخلصين. فلسان حالهم يقول ياليتنا كنا مثلهم ولم نضحي بحياتنا وأوقاتنا، ففي النهاية نال الجاحدون والعصاة مثل درجتنا أو قريب منها. ففي هذه الحالة سيكون الملك كريما ورحيما لكن ليس عادلا وحاشى لله الملك العادل أن يكون غير عادل. فلذلك كان مصير هؤلاء الجاحدين الرافضين لحكم الله ألا يجتمعوا مع المؤمنين في جنة الله أو ينالوا شيئا من نعيم الله. ولا يتساووا مع المؤمنيين الذين أطاعوا الملك وعاشوا من أجله واتبعوا تعاليمه وقوانينه. وهنا تجدر الإشارة بأنه لا يمكن لأحد أن يقول أنا أؤمن بالله

لكن لن أتبع قوانينه وتعاليمه (الإسلام). ولتوضيح ذلك نضرب مثلا بالدولة التي نعيش فيها. فإذا أراد أي شخص أن يعيش في نيوزيلندا فلا بد له أن يتبع قوانين نيوزيلندا فمن يرفض ذلك سيكون مصيره أن يستبعد من المجتمع فيوضع في السجن أو يُرَحَّل. فسبحان الله، هذه قوانين البشر يرونها بينهم عادلة أما إذا تعلق الأمر بالله استهانوا به ووصفوا الله بالقسوة والظلم، فبأي ميزان يزنون، مع أن الله أعدل منهم وأرحم منهم. ولو قال شخص أنا لن أتبع القوانين لكني لن أؤذي أحدا فمثلا سأقطع اشارة المرور دون أن أؤذي أحدا، فهل سيقبل الناس منه ذلك أم سيعتبرونه مذنبا يستحق العقاب؟؟ ولو أن رجلا قال سأتبع قوانين استراليا وهو يعيش في نيوزيلندا فهل يُقبل منه ذلك؟ بل لو أن رجلا قال سأتبع قوانين نيوزيلندا القديمة ولن أتبع القوانين الجديدة فهل سيقبل منه هذا؟ بالتأكيد لا ولا وألف لا. فمالكم بالذي يريد أن يعيش في مملكة الله الأبدية وهو يرفض أن يتبع آخر الكتب والقوانين (الإسلام) لذلك قال الله عز وجل (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين). وقد يقول انسان لماذا يريدني الله أن أعترف به وأقبل حكمه. فنقول له أن اعترافك بالله لن ينفع الله أو يضره شيئا وإنما كفرك بالله وجحودك به إنما هو شيء يدل على سوء معدنك وحقيقة جوهرك ومن أجل ذلك خلقك الله حتى لا يساويك بالذي يؤمن به ويتبع تعاليمه وقوانينه. وأيضا لو أن إنسانا أنقذ انسانا من موت محتم فمن البديهي أن يكون هذا الانسان وفيا للشخص الذي أنقذ حياته ومخلصا له ويتذكر له هذا الجميل طيلة حياته. كل هذا لأنه أنقذ حياته! فكيف بالذي أعطاك الحياة؟؟ كم هو ظالم بني الانسان!. فكونك لا تؤمن بالملك ولا تقبله ولا تتبع تعاليمه وربما تؤمن بشخص آخر من خلقه وتعتبره أنه هو الملك وتجعله ملكا بغير حق فهذا ظلم عظيم. فلذلك لا يحق لك أن تعيش في نعيم الملك الذي لا تؤمن به وهذا منتهى العدل.

إجابة السؤال الثاني:

لماذا أحاسب على دين وجدت نفسي عليه؟

لما كان الناس في معدنهم مؤمنون وكافرون، قضى الملك العادل بأن يكونوا كذلك في الدنيا، مجتمع للمؤمنين ومجتمع للكافرين، فقضت حكمة الملك بأن يولد المؤمن بين المؤمنين إلا من شاء الملك، وأن يولد الكافر بين الكافرين إلا من شاء الملك، **وكل مولود يولد على فطرة سوية** ثم إذا كبر اختار طريق الإيمان أو الكفر، فيكون الكافرون الذين شاء الملك أن يولدوا بين المؤمنين بلاء وامتحانا للمؤمنين عندما يكفروا، ويكون المؤمنون الذين شاء الملك أن يولدوا بين الكفار حجة عليهم عندما يؤمنوا. فالكافر يولد بين الكفار لكي يُطلب منه أن يؤمن بالملك، فإن أبى وجحد وأعرض فقد ظهر كذب ادعائه حين ادعى في اللقاء الأول أنه مؤمن، والمؤمن يولد بين المؤمنين لكي يطلب منه أن يتبع تعاليم الملك ليُثبت إيمانه، فأشدهم اتباعا يكون أكثرهم إيمانا وصلاحا وأعظمهم درجة ورفعة وقربا.

و لو أنَّ نسبة كبيرة من أولاد المؤمنين كانوا من الكافرين لفسدت المملكة لأنهم سيكفرون، ولما توارث الناس تعاليم الملك العادل ولما استقام أمر الناس، فالكافرون يجحدون الملك ويرفضون تعاليمه.

فكان امتحان الكافرين بأن يوجدوا على معدنهم الحقيقي في مملكة الدنيا وقد أعطاهم الملك كل النعم وأسكنهم في مملكته وأغدق عليهم من كل جانب وأراهم قدرته في صنع مملكة الدنيا العظيمة، أفلم يروا تلك الجبال الرواسي الشامخات، وتلك البحار والأنهار والمحيطات، وهذه الأرض والسماوات، وتلك

النجوم والشمس والقمر السائرات، وهذه الرياح الذاريات، تحمل السحب بمختلف الخيرات، كل شيء في هذه المملكة يدل على قوة وعظمة هذا الملك العادل، فقد تعهد الملك بأن يريهم الآيات ويرسل لهم رسلا يَدْعُونهم إلى الرجوع إليه والإيمان به حتى لا تكون لهم حجة في اللقاء الثاني فقال الملك ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ﴾ سورة فصلت، ثم يُطلب منهم أن يؤمنوا به ويتبعوا تعاليمه فإن أنكروا وجحدوا فقد ظهرت حقيقة قبحهم الذي كان يعلمه الملك العادل منذ أن كانوا في العدم، وظهرت حقيقة كذبهم يوم أن أقروا بقدرته وشهدوا على عظمته في اللقاء الأول، وإن آمنوا وتركوا مجتمع الكافرين فقد فازوا وأثبتوا أن معدنهم حسن، واستحقوا العيش في ملكوت الملك وجنته الأبدية.

وفي النهاية لن يؤمن في مملكة الدنيا إلا من كان معدنه حسن، **ولذلك خلقه الملك**. ولن يكفر في مملكة الدنيا إلا من كان معدنه سيء، **ولذلك خلقه الملك** لتحقيق العدل كما أسلفنا. فإن كان معدنك حسن فبمجرد أن تسمع نداء الملك العادل فستجيبه سواءا كنت عربيا أو أعجميا، وسواءا كنت تعيش في المشرق أو المغرب، وسواءا ولدت مسلما أو غير مسلم، وسواءا كنت تتكلم العربية أو الإنجليزية أو غيرها. وإن كان معدنك سيء فمهما سمعت نداء الملك، ومهما جاءك من رسول، ومهما رأيت من آيات، وسواءا كنت عربيا أو أعجميا، وسواءا كنت تعيش في المشرق أو المغرب، وسواءا ولدت مسلما أو غير مسلم، وسواءا كنت تتكلم العربية أو الإنجليزية أو غيرها، فسوف تصر على عنادك وإنكارك للملك العظيم الذي تعيش في مُلكه، وتنعم من خيره وتجحده، وتكفره ولا تشكره وتكفر برسله ولا تتبع تعاليمه.

فالخلاصة أنّ كل الناس لهم كامل الإرادة في مملكة الدنيا ليثبتوا إيمانهم من كفرهم، وأن الله ما خلقنا إلا لتحقيق العدل فكما بينا من قبل أنّ الله تبارك وتعالى قد عَلِمَ بعلمه الأزلي أن هناك خلقا في العدم منهم المؤمن ومنهم الكافر، ومن أجل ذلك خلق المؤمنين وَخَلَقَ الكافرين حتى يقضي بعدله بينهم، فالإيمان والكفر ليس أمرا طارئا على الناس بعد خلقهم، **فالمؤمنون والكافرون موجودون في علم الله منذ أن كانوا لا شيء في العدم**، فلما خلق الله المؤمنين عملوا بعمل أهل الإيمان والجنة لأنهم أصلا مؤمنون، ولما خلق الله الكافرين عملوا بعمل أهل النار لأنهم أصلا كافرون، فالله لم يُجبر أحدا على الإيمان أو الكفر لأنه أعدل العادلين وهو الإله العدل الحكيم، فبقي عمل الناس هو الحَكَمُ والفيصل في كونهم مؤمنون أو كافرون [1].

١- وهذا هو معنى قول رسول الله ﷺ: إن الله خلق آدم عليه السلام، ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية، قال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون. ثم مسح ظهره، فاستخرج منه ذرية قال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون. رواه أبو داود.

فقضية الإيمان بالقدر هو أننا نؤمن بأنّ الله ما خلق المؤمنين إلا لأنهم مؤمنون، فهم كذلك منذ أن كانوا في **علم الله** وسيظلون مؤمنين حتى بعد أن خلقهم، وما خلق الله الكافرين إلا لأنهم كافرون، فهم كذلك منذ أن كانوا في **علم الله** وسيظلون كافرين حتى بعد أن خلقهم. والله وحده هو من يعلم المؤمن من الكافر ولا يحق لأحد من الناس أن يحكم على أحد بالكفر حتى لو وُلِدَ بين الكفار أو يحكم على أحد بالإيمان حتى لو وُلِد بين المؤمنين.

وأخيرا، لا يمكن لأحد من المؤمنين أن يكفر بعد أن يخلقه الله لأن ذلك يعني أنّ الله لا يعلم الغيب فهو كان يظنه مؤمنا ثم تبين له أنه كافر وقد أخطأ. وكذلك لا يمكن لأحد من الكافرين أن يؤمن بعد أن يخلقه الله لأن ذلك يعني أن الله لا يعلم الغيب فهو كان يظنه كافرا ثم تبين له أنه مؤمن وقد أخطأ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وهذا هو مفهوم القدر. ولذلك كان الإيمان بالقدر ركنا أصيلا من أركان الإيمان فمن لم يؤمن بالقدر فقد شك في علم الله وحكمته، وهذا ذنب عظيم وسوء أدب كبير مع الملك العظيم. غفر الله لنا ولكم.

إجابة السؤال الثالث:

لماذا لا يجمعنا الله ويخبرنا بنفسه أنه هو الله دون الحاجة إلى ارسال الرسل؟

بالفعل قد جمعنا الله أول مرة جميعا وأشهدنا على نفسه فقال الكافرون والمؤمنون جميعا آمنا بالله والله يعلم أن الكافرين كاذبون في ادعائهم فلذلك كان عدل الله أن يخلق لنا هذه الأرض الذي نعيش فيه ويمتحننا امتحانا عادلا حتى يظهر معدن كل واحد منا بكامل إرادته وبدون مؤثرات خارجية. فمثلا لا يمكن للسارق أن يسرق أمام الشرطي. فلولا وجود الشرطي لظهرت حقيقة السارق. ولذلك لما طلب بعض الكفار أن يبعث الله لهم مَلَكًا رد الله عليهم قائلا وحتى لو فعلت ذلك وأرسلت مَلَكًا لجعلته رجلا وللبست عليكم أمره حتى يظهر معدنكم الحقيقي لأنهم لو رأوا الملائكة سوف يؤمنون لكن هذا الإيمان إنما من وراء دافع وليس إيمانا صادقا نابعا من القلب ولا يعكس جوهر الشخص وحقيقته، فمثلا لو أن شخصا سيئا يحب قتل الأبرياء والتسلط عليهم لو كان يعيش في مجتمع تكثر فيه الشرطة والحراسة لما تمكن هذا الشخص من فعل أفعاله السيئة، فعدم فعله لتلك الأفعال ليس لأنه شخص صالح وإنما لأنه يخشى الشرطة. فحقيقة معدن هذا الشخص أنها سيئة وإن لم يفعل أفعالا سيئة. والله وحده هو من يعلم حقيقة القلوب لذلك لم يرسل الله ملائكة للناس حتى يكون الإمتحان حقيقيا حيث يظهر كل شخص على حقيقته وإلا فلا قيمة لذلك الإمتحان. قال تعالى ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾.

إجابة السؤال الرابع:

الفرق بين الرسول والساحر فرق جوهري والرسول لا يمكن أن يكون ساحرا لثلاثة أسباب:

أولا: الرسول يكون معروفا بالصلاح بين الناس فهو يحث الناس على الخير وعلى مكارم الأخلاق وينهى عن الفواحش والرذائل ولذلك يأمنه الناس، أما الساحر فلا يكون كذلك أبدا، بل أفعاله مريبة وعادة ما يخافه الناس ويتوجسون منه.

ثانيا: الرسول يأتي بالمعجزة باسم الملك ويقول أرسلني الملك لكم بهذه المعجزة، فيظهر تأييد الملك له ولا يفضحه، أما الساحر فيأتي بالمعجزة باسم الشيطان أو أتباع الشيطان ولا يستطيع أن يقول أرسلني الملك لكم بهذه المعجزة، قال تعالى في سورة الشعراء حاكيا عن حال سحرة فرعون ﴿فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ فهؤلاء السحرة فعلوا المعجزة باسم فرعون بينما موسى فعل المعجزة باسم الله ولكن لما كان التحدي على إثبات وجود الله نصر الله موسى على سحرة فرعون، لذلك إذا أراد أي ساحر أن يأتي بمعجزة باسم الله يتدخل الملك العادل فيفضحه وهذا من عدل الملك وحكمته. ومثال ذلك ما أورده ابن كثير في البداية والنهاية أنّ مسيلمة الكذاب لمّا ادعى النبوة وأراد أن يأتي بالمعجزات وَيَتَشَبَّهُ بِالنَّبِيِّ ﷺ؛ فبلغه أنّ النبي ﷺ بصق في بئر فَغَزُرَ ماؤها أي فاض ماؤها ببركة النبي ﷺ، فأراد أن يفعل مثله فبصق في بئر فغاض ماؤها بالكلية أي جفت تماما، وبصق في بئر أخرى فصار ماؤها أجاجاً أي أصبحت مالحة مثل ماء البحر، وسقى بوضوئه نَخْلاً فيبست وهلكت،

وَأُتِيَ بِوِلْدَانٍ يبَرِّكُ عَلَيْهِمْ فَجَعَلَ يَمْسَحُ رُءُوسَهُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ قُرِعَ رَأْسُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ لُثِغَ لِسَانُهُ، ودعا لرجل أصابه وجع في عينيه فمسحها فعمي، وهكذا يفضح الملك العادل أي شخص يدعي أنه رسول ويريد أن يأتي بمعجزة حتى لا يُفْتَتَنَ الناس في دينهم ولا يُمَكّن لأهل الباطل، لذلك كانت فتنة المسيح الدجال من أعظم فتن مملكة الدنيا لأنه الشخص الوحيد الذي سيأتي بمعجزات عظيمة ويدعي أنه الإله.

ثالثا: الرسول يُنَزَّل عليه كتاب عظيم من عند الملك يَحوي رسالة الملك إلى الناس ويتضمن ما يلي:

١. معجزات.
٢. أخبار السابقين.
٣. أمورا عن المستقبل والغيب.
٤. دعوة الناس للإيمان بالملك واتباع تعاليمه.
٥. حث الناس على الخير ودَلّهم عليه ونهي الناس عن الشر وأمرهم باجتنابه.
٦. أحكام وشرائع.

أما الساحر فلا يستطيع أن يأتي بكتاب مثل ذلك أبدا.

إجابة السؤال الخامس:

لماذا لا أعتنق الإسلام؟ لماذا لا أعتنق المسيحية؟ لماذا لا أعتنق أي دين آخر ؟

أولا: الذين آمنوا بموسى عليه السلام آمنوا به للأسباب التالية:

- لأن موسى ﷺ أخبرهم بأنه رسول رب العالمين وطلب منهم الإيمان به وبمن قبله.

- لأن موسى ﷺ أتاهم بمعجزات باسم الملك وظهر تأييد الملك له.

- لأن موسى ﷺ أتاهم بكتاب من عند الملك اسمه التوراة فيه معجزات وأخبار وتعاليم.

ثانيا: الذين آمنوا بعيسى وموسى عليهما السلام آمنوا بهما للأسباب التالية:

- لأن عيسى ﷺ أخبرهم بأنه رسول رب العالمين وطلب منهم الإيمان به وبمن قبله.

- لأن عيسى ﷺ أتاهم بمعجزات باسم الملك وظهر تأييد الملك له.

- لأن عيسى ﷺ أتاهم بكتاب من عند الملك اسمه الإنجيل فيه معجزات وأخبار وتعاليم. ويشهد فيه لموسى بالنبوة والرسالة. ولكن لأجل تحريف وضياع رسالة موسى لم يعد لأحد أن يتبع موسى ﷺ، فوجب على الجميع اتباع عيسى ﷺ.

ثالثا: الذين آمنوا بمحمد وعيسى وموسى عليهم السلام آمنوا بهم للأسباب التالية:

- لأن محمد ﷺ أخبرهم بأنه رسول رب العالمين وطلب منهم الإيمان به وبمن قبله.

- لأن محمد ﷺ أتاهم بمعجزات باسم الملك وظهر تأييد الملك له.

- لأن محمد ﷺ أتاهم بكتاب من عند الملك اسمه القرآن فيه معجزات وأخبار وتعاليم. ويشهد فيه لموسى وعيسى بالنبوة والرسالة. ولأجل تحريف وضياع رسالة موسى وعيسى لم يعد لأحد أن يتبع موسى وعيسى، فوجب على الجميع اتباع محمد ﷺ.

السؤال هنا لأتباع قوم موسى وهم اليهود. لماذا آمنتم بموسى وكفرتم بعيسى ومحمد مع أن الأسباب واحدة؟ دعك من التشكيك في الكتب السماوية أو ادعاء أنها ليست من عند الله، فالأمر واضح، فالتوراة والإنجيل والقرآن كتب منزلة من عند الملك. فكل الكتب تَحَقَّقَ فيها ما ذكرناه آنفا من احتوائها على معجزات وأخبار السابقين وأمورا عن المستقبل ودعوة الناس بالإيمان بالملك وحثهم على الخير ودلهم عليه ونهيهم عن الشر وأمرهم باجتنابه وتضمنها لشرائع وأحكام، فإذا كان هناك نص أَشْكَل على بعضهم أو اشتُبه على بعضهم أو جَهِلَهُ بعضهم لقلة علمه أو حاول أن يتجاهله لِحِقده أو حَسَده فهذه مسألة أخرى وليس المقام هنا لمناقشة وجهات النظر وقصور الفهم عند البعض.

فالحاصل أنّ جميع الأنبياء الثلاثة قالوا نحن رسل الله، وجميعهم أتوا بالمعجزات بتأييد من الملك، وجميعهم أتوا بكتب مباركة، فأي انسان يدعي أنه يؤمن بواحد منهم دونا عن الباقين فقد اتبع هواه

وضل الطريق وكان ظالما بادعائه، فَأَتباع موسى أخطأوا بتحريفهم تعاليم الملك وافترائهم على عزيرٍ وَغُلُوهم فيه، فقام الأحبار بأكل أموال الناس بالباطل واشتروا بآيات الله ثمنا بخسا فأحلّوا ما حَرّم الملك وحَرّموا ما أحلّ الملك وأفسدوا في الأرض فضلوا بذلك الطريق، ومن أجل ذلك أرسل الملك رسوله عيسى عليه السلام لِيُعِيدَهُم إلى الطريق ويرشدهم إليه، فأخطأوا مرة أخرى بكفرهم بعيسى عليه السلام وكفرهم بكتاب الملك (الإنجيل) الذي يأمرهم فيه باتباع عيسى عليه السلام، ولأجل أنهم ضيعوا التوراة وحرفوها ولم يتبعوا موسى فوجب عليهم اتباع عيسى وما جاء به من كتاب، ولن يُقبل منهم بقاؤهم على دينهم المُحَرَّف مهما كانت حجتهم ومهما كانت محاولاتهم لإثبات أنّ الإنجيل الأصلي ليس من عند الله أو مهما كانت محاولاتهم للطعن في شخص عيسى عليه السلام، فهذه تظل وجهات نظر وقصور في الفهم ولا ترقى إلى إنكار هذا النبي العظيم أو إنكار هذا الكتاب العظيم.

أما النصارى الذين خالفوا الإنجيل وخالفوا أَتْبَاعَ عيسى الحقيقيين المُوَحِّدين أمثال أريوس المُوَحِّد فقد أخطأوا في ادعائهم أنّ عيسى عليه السلام هو الملك الذي يحكم العالم أو في ادعائهم بالتثليث أو بعبادة الصليب الذي لم يَرِد عن عيسى عليه السلام أنه أمرهم أو أخبرهم بشيء عن هذه العقيدة لا من قريب ولا من بعيد، وكذلك قصة الفداء المزعومة والتي تتنافى تماما مع سياق الأحداث الواردة في كتب النصارى، فقد ورد في كتبهم أن أعداء عيسى عليه السلام لما أرادوا أن يلقوا القبض عليه هرب منهم وظلوا يطاردونه ولما أمسكوا به ظل يصرخ وطلب منهم أن يفلتوه ولما وضعوه على خشبة الصلب ظل يصرخ ويقول يا إلهي لم تركتني ثم بصقوا عليه وسبوه وسخروا منه وقتلوه شر قتلة،

وهذا يتنافى تماما مع عقيدة الفداء، فلو كان زعمهم صحيحا لكان من الواجب على عيسى عليه السلام أن يبين لهم جليا أنه أُرسِل من عند الملك "والذي يُفتَرض أن يكون هو الملك في نفس الوقت!!" وأنه جاء من أجل أن يقتلوه تخليصا لهم من ذنوبهم ثم يذهب معهم بكامل إرادته ورضاه التام لِيُقتَل فداءا لهم دون أن يتسخط أو يعترض أو يحاول الهرب منهم. فلا يُعقل أن تكون هذه العقيدة الشاذة سواءا كانت التثليث أو الفداء أو عبادة الصليب التي لم يأت بها رسول من قبل أن تكون العمود الأساسي والعقيدة الجوهرية لدين كامل ولا يوجد عليها دليل واحد في كلام عيسى عليه السلام، وبالمقابل إذا نظرنا إلى عقيدة المسلمين الجوهرية فسنجد أنها **التوحيد**، لذلك إذا قرأت القرآن فستجد أن هذه العقيدة هي المحور الأساسي وهي أكثر المواضيع تناولا في القرآن الكريم. أما النصارى فقد افتروا فرية عظيمة تتفطر منها السماوات، وتنشق منها الأرض، وتخر منها الجبال هدا. فَغيَّروا تعاليم الملك وصدقوا افتراءاتهم وكذباتهم وقاتلوا عليها فأفسدوا في الأرض وضلوا بذلك الطريق، ولأجل أنهم ضلوا الطريق وضيعوا الإنجيل وحرفوه ولم يتبعوا عيسى عليه السلام أرسل الملك لهم رسوله محمد ﷺ ليعيدهم إلى الطريق ويرشدهم إليه، لكنهم أخطأوا بكفرهم بمحمد ﷺ وكفرهم بكتاب الملك (القرآن) الذي يأمرهم فيه باتباع محمد ﷺ، ولن يُقبل منهم بقاؤهم على دينهم المُحَرَّف مهما كانت حجتهم ومهما كانت محاولاتهم لإثبات أنّ القرآن ليس من عند الله أو مهما كانت محاولاتهم للطعن في شخص محمد ﷺ. فهذه تظل وجهات نظر وقصور في الفهم ولا ترقى إلى إنكار هذا النبي العظيم أو إنكار هذا الكتاب العظيم، فَمَثَلُ هؤلاء كَمَثَلِ من يُنكِرُ وجود جبل عظيم فاق السحاب بحجة أنه لا يرى قمته.

وبسبب تغييرهم للكتب وتحريفهم لتعاليم الملك أصبح الإسلام هو الدين الوحيد على وجه الأرض الذي يعبد الله وحده بما أمر الله، فحين يسجد المسلمون فإنما يسجدون لله الذي خلق السماوات والأرض وخلق الخلق والكون وحده، فهم يؤمنون بهذا الملك وحده وكل عبادتهم موجهة لهذا الخالق وحده لا شريك له، فالمسلمون لا يعتقدون أنّ الخالق هو فلان أو عيسى أو بوذا أو الشمس أو النار أو البقرة، وإنما يعتقدون بأنّ الخالق هو الخالق الذي خلق السماوات والأرض والكون بأسره، فكانت عقيدة صافية نقية، لذلك إذا مات المسلمون فإنهم سيلقون الخالق الذي كانوا يعبدونه ويوجهون له كل عباداتهم فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

هذا بخلاف اليهود والنصارى والمجوس والهندوس والبوذيين الذين أساؤوا إلى الملك بتغيير تعاليمه أو الافتراء عليه وادعوا أنّ هناك آلهة مع الله، فمنهم من يعبد عيسى ومنهم من يعبد النار ومنهم من يعبد البقر ومنهم من يعبد الشمس ومنهم من يعبد بوذا ومنهم من أنكر وجود الملك، **فيا ويلهم أشد الويل إن لم يكن خالق الكون كما كانوا يدعون.**

فالحق بَيِّنٌ لا ريب فيه وكل الناس يختار طريقه بكامل إرادته، وقواعد الامتحان تقضي بالإرادة الحرة لكل الناس في الاعتقاد، حتى الشيطان سيقول لأتباعه يوم القيامة وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي، لذلك أمر الملك المسلمين بدعوة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، فالحوار مسموح به في الامتحان من كلا الجانبين ولا سلطان لأحد على أحد في الاعتقاد، والكل له الإرادة المطلقة في الاعتراف بالملك وشكره على نعمه واتباع رسوله وتعاليمه، أو إنكار الملك وإنكار رسوله

وتعاليمه وجحد نعمه والافتراء عليه والإساءة إليه بعبادة غيره، وتذكر أنّ الملك لم يطلب منك سوى الإيمان به وبرسوله واتباع تعاليمه في كتابه. فقد روى مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهَا ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ : قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ : أَنْ لَا تُشْرِكَ وَلَا أُدْخِلَكَ النَّارَ فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ) .

أخي القارئ/ أختي القارئة

في النهاية لك الحق في اختيار ما شئت، لكن تذكر بأن اختيارك يدل على معدنك فأرجو أن تحسن الاختيار. وأرجو أن أراك في مملكة السماء مع المؤمنين حين نجتمع جميعا لنلقى الملك العادل الذي آمنا به. فربما لن نلتقي إلا هناك.

هذا فإن أحسنت فمن الله وحده وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان. وأسأل الله أن ينير قلوبنا وقلوبكم وأن يبصرنا ويبصركم وأن يهدينا ويهديكم إنه على ما يشاء قدير وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ملحوظات مهمة

– ليس المقصود بكلمة "الملك العادل" أن يكون اسما من أسماء الله وإنما هو وصف لصفات الملك. فالله تبارك وتعالى أعظم من أن يكون عادلا فهو العدل نفسه وهذا ليس اسما له على الراجح.

– العدم هو اللا شيء، فكل شيء وُجِد في الوجود فقد أوجده الله من اللا شيء، ولكن لأن الله يعلم كل ما يمكن أن يكون من اللا شيء فأصبح اللا شيء معلوما عند الله، **فكنا شيئا في عِلْمِ الله منذ أن كنا في العدم**، فالله كان ولم يكن معه شيء، وكذلك خَلقَنا الله ولم نك شيئا.

– الناس معادن كما أخبر الرسول ﷺ من حديث أبي هريرة في صحيح مسلم، **فالمعدن هو حقيقة الشخص وجوهره** الذي لا يتغير بالزمان ولا بالمكان، وفي النهاية كل إناء ينضح بما فيه.

– شِعارُ الناس في مملكة الدنيا (العدل أساس الملك). ونُقل عن ابن تيمية رحمه الله قوله: إن الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة، وهذا المفهوم صحيح فالله تبارك وتعالى أقام مُلكَه على أساس العدل ولذلك كان حُكمُه أزلي.

– تم استخدام اسلوب روائي بسيط غير تقليدي وغير متكلف لمخاطبة كل من في قلبه مرض وحتى يتناسب مع عقل الملحد وغير المسلم، فهذا الكتاب يوضح أصل الحكاية وكثيرا من الأمور التي غفل عنها كثير من الناس ويجيب على الأسئلة الخمسة بالإضافة إلى توضيح كثير من الشبهات بين طيات السطور.

– تم إرجاء كلمة المؤلف إلى آخر الكتاب حتى لا يُصرَف انتباه القارئ عن الترتيب المراد.

الوصايا الخمس

١- اعلم بني رعاك الله أن الخلاف طبيعة بشرية ولولا اختلاف الناس لما خلقنا الله كما قال تعالى في خواتيم سورة هود، واعلم بني رحمك الله أن الله سيحكم بيننا يوم القيامة فيما كنا فيه نختلف سواءا كان صغيرا أو كبيرا، فإذا علمت ذلك فاعلم أنه إذا وقع الخلاف في مسألة ما فلابد من قول صواب وقول خطأ ولايستقيم أن يقال كلا القولين صحيح، فهذا باطل لا يراد به الا باطل، فكل الخلاف الحاصل بين الأئمة لا يخلو من أيكون أحدهم مصيب والآخر مخطئ فمراد الله واحد ولايستقيم أن يكون مراد الله في المسألة الواحدة الحلال والحرام أو المنع والإجازة. فلا يقول بهذا القول إلا صاحب هوى أو ضلالة. واعلم بني بأن ادراك الصواب والخطأ مبني على اجتهاد بني الانسان ولا يمكن الجزم بالصواب إلا إذا جزم به الله أو رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم وما كان دون ذلك فهو اجتهاد البشر ولا يحق لأحد أن يجبر أحدا على اجتهاد أحد. فإذا علمت ذلك فاحرص على معرفة الحق بما يتبين لك من أدلة يفتحها الله عليك وادع إلى الحق الذي تراه دون أن تبغض عليه أو تعادي عليه فربما كنت مخطئا والله وحده هو من يعلم الحق. واعلم بني بأن الاجتهاد في معرفة الحق جزء من الامتحان الذي أوجبه الله علينا في مملكة الأرض حتى يتبين الصادق ممن يتبع الهوى.

٢- اعلم بني رعاك الله أن الناس مؤاخذون على اجتهادهم إلا إذا برئة ذمتهم، والناس على صنفين أهل علم وعوام. فأما أهل العلم فبراءة ذمتهم في اختيارهم للأدلة، وأما عوام الناس فبراءة ذمتهم في اختيارهم للأئمة. فالعالم الذي يجتهد اجتهادا حقا لمعرفة الحلال والحرام فهذا إن أخطأ فنقول عنه عالم زل وله أجر اجتهاده لأنه قد برئة ذمته لاجتهاده اجتهادا مبرأ من الهوى والزيغ والضلالة. أما من اتبع هواه ولم يجتهد

اجتهادا يرضي الله عز وجل فهذا نقول عنه عالم ضل ولم تبرئ ذمته من الله تعالى وهو ممن تسعر بهم النار. وكذلك الحال مع العوام فإن اجتهدوا في اختيار الأئمة فقد برئة ذمتهم. والإمام الذي تبرأ به الذمة هو العالم الذي لا يتبع الزيغ ولا الهوى وانما هو عالم يخشى الله عز وجل، ويثبت ذلك عنده بشهادة أهل الفضل الثقاة بأن هذا العالم هو أعلم وأصدق من يستطيع الوصول إليه دون مشقة، ففي هذه الحالة فقط تبرء ذمته عند أخذ الفتوى من هذا العالم حتى وإن كانت الفتوى خاطئة فلا حرج عليه لبراءة ذمته. والعالم هو العالم بالمسألة.

٣- إياك وكثرة الكلام فإنه يطيل الحساب ويُكثر العتاب ويزيد الأخطاء ويُحدث البغضاء ومنه تستفيد الأعداء وعليه يظهر البلهاء وبه يكثر القيل والقال، وإياك ونقل الكلام فبه يحصل الخصام وبه تقطع الأرحام وبه يقل قطر السماء واحرص على الصمت والسكوت دون أن تكون مجبورا ومكبوت فالصمت دون خوف سمة الحكماء والصمت عند الخوف سمة الجبناء، واصدع بالحق وازئر به زئير الأسد حتى ترج به أركان الباطل وتُسمع به أهل الحق وتنصر به الضعفاء، واعلم أن الذي يصدع بالحق على استحياء لن يسمعه إلا أهل الباطل والأهواء وعندها لن ينال إلا الأذى والإعياء ولن يكون صوته ذا فائدة أو منفعة بل ربما يزيد الداء داء.

٤- اعلم بني رحمك الله أن كل الناس من حولك انما هم عبيد للملك الذي خلقهم فإياك أن تخشاهم أو تسعى لرضاهم، ولا تلتفت إليهم ولا تتعلق بهم فوالذي نفسي بيده لو سألتهم ما أعطوك ولو أرضيتهم ما أرضوك ولو نصرتهم ما نصروك ولو أحببتهم ما أحبوك فهذه حقيقتهم وهذه طبيعتهم، لذلك اجعل قلبك موجها ومعلقا بالله الذي خلقهم فإليه مرجعنا ومردنا فهو الذي إذا سألته أعطاك وإذا أرضيته

أرضاك وإذا نصرته نصرك وإذا أحببته أحبك فكن مخلصا لحبك لله في جميع أعمالك واجعل عملك محبة خالصة لله وحده وهذا هو معنى الاخلاص.

٥- اعلم بُني بأن الله تعالى لم يشأ أن يحاسب الناس على ذنوبهم في هذه الدنيا فقد قال تعالى (ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم) فلولا أن الله قضى أن يحاسب الناس على ذنوبهم يوم القيامة لعجل الله لهم حسابهم في الدنيا ولما سمح بالظلم والقتل والسيئات والفواحش ولكن كانت مشيئة الله في أن يحكم الانسان مملكة الأرض ويستخلفها ويصنع فيها ما يشاء، واعلم بُني أنَّ الانسان عندما استخلفه الله في الأرض كانت الأرض على أكمل وجه وأحسن حال، فلم يكن هناك أمراض ولا فساد ولا اختلال، ولا تشوهات أو اعاقات أو أي نوع من أنواع الخلل أو النقص بأي حال، ولكن لما حاد الانسان عن شرع الله وفعل ما نهاه الله عن فعله من زنا المحارم واللواط وشرب الخمر وأكل الخنزير وغيرها من المحرمات والموبقات، حينها ظهر الفساد في الأرض بما كسبت أيد الناس، فظهرت الأمراض والتشوهات، والاعاقات والفقر والخلل والفساد، فما ظلمنا الله ولكن هذا ظلم بني الانسان بعضهم لبعض، فكل مصيبة أو خلل أو عيب في مملكة الأرض انما هو من صنعنا ولولا أن الله تعهد بأن يؤخر حسابنا لما سمح الله بذلك لكنها مشيئة الله تعالى أن يجعل الانسان مستخلفا في الأرض يصنع ما يشاء ثم يفصل الله بينهم يوم القيامة ويحقق العدل بينهم، ولو أراد الله أن يمنع الناس من فعل السيئات مطلقا في هذه الدنيا لجعل الحدود في جميع المعاصي، لكن المتدبر للقرآن يعلم أن الله ما جعل الحدود إلا على الذين يفسدون في الأرض فقط ويتعدون بفسادهم على الآخرين حتى لا ينتشر الفساد، ولم يجعل الحدود على مجرد فعل المعصية ليحاسب الناس على ذنوبهم، فالله أوجب الحدود حتى تستقيم أمر مملكة الدنيا فكانت الحدود في السرقة والقتل والمجاهرة بالزنا والقذف وشرب الخمر ولم يكن هناك

حد في الشرك أو عقوق الوالدين أو أكل الخنزير أو التعامل بالربا أو سماع الغناء أو ترك الصلاة أو ترك الصيام أو ما شابه ذلك من كبائر الذنوب وصغائرها، فلو أراد الله أن يمنع الناس من الذنوب مطلقا لجعل الحدود في جميع الذنوب، ولو منع الله الناس من فعل الذنوب مطلقا بقوة السلطان والحاكم فما فائدة هذا الامتحان. فالامتحان لا يكون عادلا إلا إذا أتيح لك طريق التقوى والإيمان وطريق الكفر والشهوات فلك الحق في اختيار ما شئت دون افساد نظام مملكة الأرض (إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا)، ولكي تستقيم نظام مملكة الأرض شُرعت الحدود. فمن اختار طريق الكفر والشهوات فهذا شأنه ولم نؤمر بإجباره على ترك هذا الطريق وإلا فما فائدة هذا الامتحان، لذلك قال الله تعال في القرآن (وإن تولوا فإنما عليك البلاغ) ومعنى هذه الآية تكرر كثيرا في القرآن، فإذا علمت ذلك بني فلا تجعل نفسك سيف الله في الأرض لتجبر الناس على الطاعة والإيمان وتذكر قوله تعالى (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) فكن داعي الله في الأرض كما كان الأولون وإياك أن تكون جبارا في الأرضك كما كان الجاهلون، فليس من أجل ذلك خلقنا، وادع إلى ربك وقل لهم قولا لينا فما أقسى القلوب في هذه الأيام.

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، أحمده حمد الشاكرين، وأحمده في كل وقت وحين، حمدا كثيرا كما يليق برب العالمين، خلق الإنسان من ماء مهين، وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعله في قرار مكين، خلق الانسان فأحسن تقويمه، وكرمه فأحسن تكريمه، وصوره فأحسن تصويره، وقدر كل شيء فأحكم تقديره، جعل في السماء نجوما للناظرين، وجعل في الأرض آيات للمتدبرين، وجعل الشمس سراجا، وجعل القمر نورا، كل في تعاقب إلى حين، وأحكم الكون وهو أحكم الحاكمين، وقال اعملوا فيها صالحا إنَّ العاقبة للمتقين، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدا عبد الله ورسوله، صفيه من خلقه وخليله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، وجاهد في سبيل ربه حتى أتاه اليقين. أرسله الله رحمة للعالمين، وأيده بمعجزات النبيين، وأنزل عليه كتابه المبين، ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون. فصلوات ربي وسلامه عليه ﷺ وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ثم أما بعد:

فقد أرسل الله تعالى الرسل وأيدهم بالمعجزات، وأنزل عليهم شرائع وآيات، وأحكاما وعظات، وأنزل السكينة على قلوب المؤمنين، وهداهم إلى الطريق المستقيم، فكان الناس على الفطرة السليمة، والشريعة القويمة. ولم يحل بينهم وبين الضلالة إلا سوء أنفسهم ومعدنهم السيئ. فأبى أكثر الناس طريق الصالحين، واتبعوا أهواءهم وضلوا الطريق. فاجتالتهم الشياطين، وعقدوا لهم لواء الجحيم، فنزعوا الرحمة من قلوبهم، وأخرجوا الشفقة من صدورهم، وخرجوا عن منهج الرسل القويم، وأصبح طريقهم عوجا.

اعلم يا من رعاك الله أني ما أردت بهذا الكتاب إلا النصيحة، فإن قبلت بها نجوت، وإن رددتها فبالباطل ارتضيت، وعن الحق انتفيت، وللنار ارتميت، ولجهنم وللمهل ارتويت، وعن الجنة تخليت، وعن الهدى توليت. فكن للحديث واعيا، وكن للكلام حاويا، وكن للذهن صافيا. وإياك أن تكون للحديث نائيا، وللكلام لاويا، وللذهن غير مباليا. وإياك إياك أن تجمع ما يشتت فهمك لا لأجل الحق، بل تريد أن تثبت خطأ الكلام. فهذه أمور عديدة، رأيت أنها مفيدة، فإن أخذت بها كنت للحق أقرب، وعن الباطل أبعد.

فقد عزمت في هذا الكتاب أن أبين كثيرا من المفاهيم الغائبة عن كثير من الخلق. ولغياب تلك المفاهيم أساء الناس فهم حقيقة الكون، وأساؤوا التعرف إلى خالقهم والوصول إليه، فكثر الإلحاد في زماني، وانتشر الفساد، وضل كثير من الخلق الطريق، فمعظم الناس لا يعرفون الحقيقة الكاملة وإن كانوا يعرفون جزءا منها، فأحببت أن أبين للناس الحقيقة الكاملة بعيدا عن كثرة النصوص والنقولات الأكاديمية حتى يصل المضمون إلى كل تائه أو باحث عن الطريق، وأرجوا أن يُجيب هذا الكتاب عن أسئلة كثير من الحائرين والسائلين، فهذه الحقيقة التي سأخبركم بها إنما هي من فهم الكتب والنصوص والآثار، وقد استقرت في نفسي بعد رحلة من البحث عن خمسة أسئلة احتار فيها السائلون، وبحث عنها التائهون، وضل فيها خلق كثير، فيا أيها القارئ الكريم أرجو منك أن تفتح قلبك قبل عينيك حتى تفهم الإجابة على هذه الأسئلة الخمسة.

كتبه الفقير إلى رحمة ربه/

محمود بن مصطفى بن عبد الصبور القفاص

تحريرا في / العاشر من محرم لعام ١٤٣٩هـ

الموافق/ ٣٠-٩-٢٠١٧م

هذا الكتاب يحوي على إجابات الأسئلة الخمسة التالية

١- لماذا خلقنا الإله؟ أحقا كما يقولون من أجل عبادته؟ وهل الإله يحتاج إلى عبادتنا؟ فإن كان لا! فَلِمَ خَلقنا؟ ألم يكن من الأولى ألا نُخلق فلا يكون هناك سيئات ولا سفك دماء ولا معاصي وبالتالي لا يُعذب أحد ولا يعاني الناس؟

٢- لماذا أُحاسَبُ على دين وَجَدت نفسي عليه؟ ما هو ذنبي إذا وُلِدت فَوجَدت نفسي مسلما أو مسيحيا أو غير ذلك؟ أليس معظم الناس الذين يولدون على دين معين يموتون على نفس هذا الدين؟

٣- لماذا لا يجمع الإله جميع الناس ثم يخبرهم بنفسه أنه هو الإله دون الحاجة إلى إرسال أي رسول فتنتهي كل المشاكل والصراعات ويؤمن الناس جميعا؟

٤- لماذا يجب عليّ أن أؤمن بأي شخص يَدَّعي أنه رسول من عند الله لأنه أتى بالمعجزات؟ إذاً فلم لا أتبع الساحر الذي يأتي بالمعجزات أيضا؟!!

٥- لماذا لا أعتنق الإسلام؟ لماذا لا أعتنق المسيحية؟ لماذا لا أعتنق أي دين آخر؟

241020170005102

رقم الإيداع:١٤٣٩/١٠٤٤/الردمك:٩٧٨-٦٠٣-٠٥٥٤٨-٠٣-١

الطبعة الثانية ٢٠١٨

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف